نـــــازك الملائكـــة فـــي مقـــالات مصريـــة

جمال بدوي: الاعلام الرسمي تجاهل الملائكة

نشر مقال بصحيفة مصرية الأحد ٢٤ حزيران الجاري لمورخ بارز يرثي الشاعرة العراقية نازك الملائكة منتقداً تجاهل الصحف المصرية لحدث وفاتها، ومقال بجريدة أخرى يبرز محبتها لمصر ويتناول شائعات طالتها في حياتها وسبب العدول عن منحها جائزة للشعر في فبراير الماضي، في صحيفة الوفد كتب المؤرخ المعروف د. جمال بدوي حول وفاة الشاعرة العراقية نازك المكلائكة بالقاهرة الأربعاء الماضي، قائلا ومعاتبا تجاهل الإعلام الرسمي بمصر لحدث وفاتها "رحلت عن دنيانا في صمت ثقيل رائدة الشعر العربي الحديث نازك الملائكة، فكان نصيبها من الاعلام الصحفي أربعة سطور نشرت علي استحياء في ذيل عمود بصحيفة قومية، وهي التي ملأت الدنيا بأعراس الشعر عندما خرجت علينا ببدعة الشعر الحديث، واحتفظت لنفسها بموقع الريادة في زمن الفروسية التي كان ينافسها عليها صلاح عبد الصبور وبدر شاكر السياب" ويضيف يبدو بأنه كان لخبر موت نازك الملائكة وقع المفاجأة الأليمة على جمهور كبير من الناس" -وأنا منهم- كانوا يحسبونها في عداد الأموات، ولايعرفون أنها تعيش في مصر منذ تسعينيات القرن الماضي، واختارت القاهرة منفى اختياريا بعد أن غادرت مسقط رأسها، ومرفأ شبابها: بغداد" مضيفا عن سنوات حياتها الاخيرة بالعاصمة المصرية القاهرة " ما أتعسها من سنين عاشتها نازك الملائكة وهي ترى وطنها ينهار ويتفكك حجرا بعد حجر، ويتهاوي تحت أقدام المغول الجدد، ويتلظى في نار الفتنة، ويتمزق إربا إربا.. وعاشت سنواتها الاخيرة تجتر أحزانها، وتعتصر آلامها، وعندما لفظت آخر انفاسها لم يعلم بموتها سوي نفر قليل من الأدباء شيعوها الي مرقدها، ثم عادوا ليعضوا بنان الندم علي ما لحق بهذه الرائدة من جحود ونكران.

احمد عبد المعطي حجازي: نهاية نازك لا تتفق والحالة العامة

وكشف شاعرنا الكبير أحمد عبد المعطي حجازي عن هذه المحنة في وثيقة لها بصحيفة (الحياة) فقال: إنه اقترح، في مؤتمر الشعر الذي عقد بمصر في شهر فبراير الماضي، منح الجائزة لنازك الملائكة، ولكن (الاتجاهات الأخرى تغلبت) !! مقارنا بين الملائكة ومن سبقها من شعراء لقوا المصير نفسه من الإهمال- حسب الكاتب " انها نفس الاتجاهات الأخري التي فرضت علي زكي أبوشادي أن يموت في الغربة، وعلي صلاح عبدالصبور أن يموت كمدا، وعلي السياب أن يموت تسولا للعلاج في الكويت.. بينما الكلاب تموت من (التخمة)!! "

ومنتهيا بالقول " جاءت نهاية نازك الملائكة متسقة تماما مع حالة الانهيار التام الذي أصاب حياتنا الثقافية والادبية، فلم تذكرها صحيفة مصرية، وانما تذكرتها صحيفة (الحياة) اللندنية فأفردت لها صفحة كاملة تباري في كتابتها رجال النقد والأدب من غير مصر التي كانت ذات يوم عاصمة الأدب ومركز الثقافة والعلوم، ومهوى قلوب العلماء والشعراء من كل فجاج الأرض منذ أبي الطيب حتي نازك الملائكة..

فليرحمها الله: وليرحمنا معها.. ويغفر لنا هذا الجحود.. ويكفيها مجدا انها من الأحياء في عالم الأموات."

شعبان يوسف: وداعاً.. نازك

وفي أخبار الأدب - اسبوعية عن دار أخبار اليوم، نشرت الجريدة للشاعر والناقد شعبان يوسف مقالا بعنوان "دورها في حركة الشعر سيبقى بقاء الشعر ذاته: وداعا نازك الملائكة " مستعرضا تاريخ الراحلة الأدبي، حتى وفاتها إذ شيع جثمانها من مسجد (عين الحياة) بالقاهرة ظهر الخميس الماضي ودفنت بمقابر العائلة بناحية السادس من أكتوبر بالجيزة، وكانت الشاعرة قد آثرت أن تعيش في القاهرة عام ١٩٨٩، وإن كانت أيضا قد آثرت الابتعاد عن الحياة الثقافية والأدبية الصاخبة، مؤمنة بما قدمته للحياة الأدبية العربية علي مدي خمسين عاما.

وأشار الكاتب لبعض نتاج الراحلة الشعري والنقدي، كذلك لكتاب (الصومعة والشرفة الحمراء) وهو دراسة نقدية موسعة وعميقة في شعر المصري المعروف" علي محمود طه" وقال يوسف أن الكتاب بصفحاته التي تقترب من ال٥٠٠ ربما جاء "في سياق جدارية كبيرة ابدعتها الشاعرة في حب مصر، وشعب مصر، بداية من قصيدة (الكوليرا) التي كتبت لها ريادة الشعر العربي، مرورا بهذه الدراسة عن الشاعر طه، بالاضافة الي قصائدها العديدة مثل قصيدة (شمس القاهرة)، والتي تبدأها (تحية يا قاهرة/ يا ومضة الكواكب المسافرة/ ياعشة الحمام، يا مأوى الطيور الصافرة/ يا نعسة الجمال في هدب العيون الغائرة).. وقصيدتها: (ثلاث أغنيات عربية).. وقدمتها أو استوحتها من جملة جمال عبدالناصر (لقد دقت ساعة العمل الثوري).فضلا عن أن الشاعرة جعلت محطتها الأخيرة، هي القاهرة واشار يوسف لبعض الشائعات التي صاحبت الراحلة خاصة في سنوات عمرها الأخيرة "وكانت هناك اشاعة قالت بأن الشاعرة لاتقابل أحدا لأنها اصيبت بفقدان ذاكرة، ولكن أقسى هذه الاشاعات، ما تردد عن رحيلها منذ خمسة عشر.

حلمي سالم: منارة من منارات الشعر الحديث

عاما، وبالفعل كتب الشاعر حلمي سالم مقالا في مجلة (أدب ونقد) تحت عنوان: (رحيل نازك الملائكة: صاحبة ...الكوليرا... تسكن ...قرارة الموجة... جاء فيه: (رحلت في الأسابيع الأخيرة، الشاعرة العراقية الكبيرة نازك الملائكة، بعد رحلة عامرة بالعطاء، في حياتنا الشعرية العربية الحديثة، وانها (ستظل نازك الملائكة، مع كل ذلك، منارة من منارات الشعر العربي الحديث).. وكان ذلك في ابريل عام ١٩٩٢، ولكن الله مد في عمرها كل هذه الأعوام، ولكن يحق لنا الأن أن نقول فعلا: ستظل نازك الملائكة حجرا كبيرا ورقيقا وعنيفا ألقي في نهر الشعر العربي، ودورها في حركة الشعر الحر، سيبقى بقاء الشعر ذاته، وداعا أيتها الشاعرة الجليلة..

وداعا أيتها المبدعة النبيلة.."

وقد نشرت الجريدة (أخبار الأدب) مختارات من قصص الراحلة نازك الملائكة مع صور خاصة لها.

المرصد الإعلامي العراقي بالقاهرة

صـــــــدر عـــــن (المدى)

"ابنة الحظ" لإيزابيل الليندي
روايـــة حـــب ونهـــوض مـــدينـــة

سعد محمد رحيم

في رواية (ابنة الحظ)❖ لإيزابيل الليندي نكون إزاء مجموعة من الحكايات المتشابكة والمتوازية والتي تفرض اجتراح أنساق سردية متساوقة معها، فالرواية تذكرنا، كما في كثر من أعمال إيزابيل، بتقنيات قصص ألف ليلة وليلة، إذ تتوقف حكاية لتبدأ حكاية جديدة فتتوقف هي الأخرى من أجل حكاية ثالثة، أو لاستئناف الحكاية الأولى، وهكذا في تنقلات سردية مكوكية تحتاج إلى التأني في القراءة للامساك بخيوطها وامتداداتها وتشعباتها وتداخلاتها، على الرغم من أن لإيزابيل لغة سهلة تتدفق بسلاسة ويسر ومن غير تقعر أو تعرجات. تعرّفنا الرواية منذ البدء على قصة ولادة إلزا واكتشافها ميكراً لموهبتين تتمتع بهما؛ حاسة شم حادة وذاكرة قوية. وهاتين الموهبتين ستعينانها لا حقاً في تذليل عقبات ومراوغة مصاعب وأداء أعمال وهي تخوض مغامرتها الخاصة. تضعها يد مجهولة وهي ابنة يوم واحد أمام مكتب الشركة البريطانية للاستيراد والتصدير في بالبارايسو، التي ستزدهر كمرفأ ومدينة ساحلية، في تشيلي. فتتبناها عائلة سوميرز التي تدير المكتب بشخص عميدها جيرمي سوميرز حيث تعتقد الناس أنها نتاج علاقة محرمة بين جيرمي ومومس. لكننا، نحن القراء، سنحتاج إلى قراءة مئات الصفحات قبل أن ندرك إن الأمر ليس كذلك. فتقوم على تربيتها شقيقة جيرمي (روز سوميرز) وخادمة المنزل الهندية (ماما فريسيا).. وروز هي أيضاً لها قصتها وماضيها والتي لن يبخل الراوي في كشف تفاصيلها لنا بعد حين.

تتعلم إلزا العزف على البيانو وتفتنها قراءة الروايات والكتب التي تعيرها لها روز، وحين تشب ستألف نفسها مفتقرة إلى الجمال الجسماني والجاذبية "ولم يكن ممكناً أن يهتم أحدهم بإلزا، لأن مظهرها لا يمكنه أن يؤجج الكثير من العواطف: فهي قصيرة ونحيلة، تخلو من ذلك الشحوب الحليبي أو من ضخامة الصدر والمؤخرة المرغوبة" ص,٨٥ وهذه مزايا وعيوب ستعرف كيف تستغلها وهي تجوب أنحاء كاليفورنيا بعد بضع سنوات بحثاً عن حبيبها (خواكين) الذي هاجر تحت ضغط حلم الثراء في أرض الذهب. وخواكين موظف فقير في مكتب عائلة سوميرز، مثقف يتحدث عن الديمقراطية والاستغلال والثورة، تعذبه رومانسية سياسية. "كان الشاب مستعداً للمقامرة بحياته في سبيل المجد غير المجدي لومضة بطولة" ص,١٢٩ وهذه اللحظة سيحصل عليها خواكين بعد سنوات بشكل تراجيدي حين ينتهي برأس مقطوع يوضع في إناء زجاجي مملوء بشراب الجن ليتفرج عليه مواطنو كاليفورنيا.

تراه إلزا ذات يوم وتقع في حبه، "عندما تعرفت إلزا على خواكين أنديبتا في صباح ذلك اليوم الخريفي في فناء بيتها، ظنت أنها قد وجدت قدرها: ستكون عبدته إلى الأبد" ص,٩٥ تصف لنا المؤلفة تلك اللحظة التي لمحته فيها، للمرة الأولى، "وبعينين مغمضتين شمت رائحته.. رائحة ملابس رطبة، وصابون عادي وعرق طازج. وجابها من الداخل نهر حمم، وخارت عظامها وظنت في لحظة رعب بأنها تموت حقاً. وبلغت تلك اللحظات من الزخم حداً أفلت معه الدفتر من يدي خواكين أنديبتا وكأن قوة قاهرة قد انتزعته، عندما وصل إليه حر المحرقة.." ص,٩٤

تمرض إلزا ولا يفيدها أي علاج وتبدو وكأنها على وشك الموت، وتذهب ماما فريسيا إلى عرافة تقطن كوخاً في بطن جبل اسمها الماتشي والتي ستفهم داء إلزا " عنت الحب. إنه داء شديد الوطأة. لا بد أنها تركت النافذة مفتوحة في ليلة مقمرة فدخل الداء جسدها وهي نائمة. لا وجود لرقية تنفع مع هذا الداء" ص,٩٧ تشفى وتلتقي حبيبها خفية ويمارسان الحب وتحمل منه وتتبعه إلى كاليفورنيا بمساعدة طبيب صيني (تاو تشين) مختبئة في جوف سفينة فتجهض هناك، وتنزل في كاليفورنيا بزي رجل وتتنقل طوال سنتين وهي بهذا الزي، من غير أن يكتشف أمرها أحد، حتى حين تعمل، مع فرقة سيرك ودعارة، عازفة على البيانو قبل أن تعود وتمارس مهنة الطب مساعدة للصيني وهي لا تفتأ تتابع أخبار خواكين الذي يتحول إلى قاطع طريق، ينسج عن أعماله القصص والأساطير صحافي اسمه جاكوب تود. وفي هذه الأثناء تتبدل مشاعرها لتتجه نحو تاو تشين الذي ستعيش معه في بيت واحد، ربما ستكتشف أنها لم تكن تلاحق سوى السراب، وأن حبها لخواكين لم يكن إلاّ وهماً. تذهب مع تاو تشين لتتأكد من أن الرأس المعروض في الإناء الزجاجي هو لخواكين حبيبها القديم، وحين يخرجان بعد نظرة تستغرق بضع ثوان يدور هذا الحوار.

"سالها تاو تشين:

. أكان هو؟

فردت عليه دون أن تفلت يده:

. إنني الآن حرة..." ص,٤٣٨

وهنا، هكذا تنهي إيزابيل الليندي روايتها. لكن (ابنة الحظ) ليست رواية حب إلزا فقط، وإنما هي رواية عدد كبير من الشخصيات التي لكل منها خصائصها وعيوبها وحماقاتها ومغامرتها الخاصة، منهم روز سوميرز وأخويها جون وجيرمي سوميرز، وتاو تشين وجاكوب تود وغيرهم.

والشخصية الحيوية الأخرى في الرواية هي تاو تشين الابن الرابع لطبيب صيني، يتقن مهنة أبيه ويزيد معرفته بالأعشاب وغرز الإبر على يد معلم عجوز أعطاه اسمه وعلّمه أنْ لا فائدة ترجى من المعارف دون الحكمة. ولتاو تشين هو الآخر مغامرته المتفردة، يتزوج من امرأة جميلة اسمها لين ويفقدها إثر إصابتها بمرض السل وتظل روحها ترافقه وترشده في أسفاره الدراماتيكية لاحقاً.. يترك مدينته إثر موت معلمه وزوجه إلى هونغ كونغ وهناك يختطفه بحارة جون سوميرز بعد أن يفقدوه وعيه وحين يفتح عينيه ثانية يجد نفسه في وسط البحر في طريقه إلى عالم مغاير حيث لا يجديه الاحتجاج، ولما يصل أخيراً إلى كاليفورنيا يمارس مهنة الطب.. هكذا تتداخل المصائر وتتصادم الأقدار والإرادات. فهل كان يخطر لجون سوميرز، حتى في الأحلام، أن هذا الشاب الصيني الذي خطفه سيلعب دوراً خطيراً في حياته ليكون فيما بعد عشيق وزوج ابنته إلزا؟.

إنه قرن الاستعمار والثورة الصناعية وصراعات الأمم والاكتشافات الجغرافية والاختراعات العلمية والهجرات الواسعة، وفي تلك الأثناء كانت إنكلترا هي مركز العالم والإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.. يقول جون لتاو تشين، وهما في البحر؛ " مثلما فعلنا في هونغ كونغ: بالحرب والخداع. فلنقل إن ذلك هو مزيج من القوة البحرية والجشع والانضباط. لسنا متفوقين، وإنما نحن أكثر قسوة وتصميماً. أنا لست فخوراً لكوني إنكليزياً، وعندما ستسافر كثيراً مثلي، لن تكون فخوراً أيضاً لكونك صينياً" ص,٢١٨

إلى جانب هذه الشخصيات الرئيسة، يلتقي القارئ بعشرات الشخصيات الأخرى، وبعضها لها تميزها وطرافتها، وهي بمجموعها تحرك الأحداث وتصنعها وتشكل المتن السردي للرواية. وعلى خلفية الأحداث الواقعة ستنهض وتزدهر سان فرانسيسكو، القرية البريئة، بعد الشائعات التي راجت في أربعة اركان المعمورة عن العثور على الذهب في كاليفورنيا، الأرض التي فرّط بها المكسيكيون وصارت قبلة المغامرين الباحثين عن الثراء السريع "لقد جاء حدادون، ونجارون، ومعلمون، وأطباء، وجنود، وهاربون من العدالة، وواعظون، وخبازون، وثوريون ومجانين هادئون من كل الأنواع" ص,٢٤٨ وبحسب تعبير جاكوب تود الذي أصبح صحافياً يغطي تداعيات حمى الذهب في كاليفورنيا فقد "أسس الولايات المتحدة غرباء ورواد ومهاجرون بائسون، بأخلاقية العمل الشاق والشجاعة في مواجهة الصعاب. وقد كشف الذهب عن أسوأ ما في الطبع الأميركي: الجشع والعنف" ص,٢٦٠ ستغتني قلة قليلة، وسيموت كثر، وسيبدّر أولئك الذين حظوا بشيء من الثروة أموالهم في القمار أو في أحضان المومسات، وتخيب آمال عشرات ومئات الآلاف الذين سيكتشفون أنهم إنما كانوا يطاردون وهماً. ومن سيستحوذ على الذهب والثروة وستكون بيده السلطة فهم الرأسماليون المالكون لرأس المال وأدوات الإنتاج والشركات الكبيرة، أما الآخرون فلن يكون بوسعهم إلاّ بيع قوة عملهم مقابل أجر شحيح لن يضمن لهم حتى الحد الأدنى من متطلبات الحياة اللائقة، وسيقضون منسيين لا يهتم أحد بمصيرهم. وكما كان السيد سوميرز (جيرمي) يقول لو وصل هنا على وفق تصور إلزا "هذه هي أرض الخطيئة، فلا وجود لأخلاق أو قوانين تحكم رذائل القمار والخمر وبيوت الدعارة. ولكن هذه البلاد بالنسبة إلي هي صفحة بيضاء، ويمكنني هنا أن أكتب حياتي الجديدة، وأن أتحول إلى من أشاء" ص,٣٠٩

ترصد إيزابيل بوعي سياسي تاريخي ثاقب التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في مدن ودول وقارات شتى (آسيا وأفريقيا والأمريكيتين) في حقبة مهمة من تاريخ الرأسمالية هي حقبة الاستعمار، كيف تنبثق المدن والمرافئ وطرق المواصلات وتوظف العلوم والتكنولوجيا في الإنتاج وتزدهر الاستثمارات والأعمال ويحصل الاستغلال وتنشأ الطبقات الاجتماعية الجديدة وتتعمق الفجوات بينها، ويُباد البشر، ولاسيما الهنود الحمر، سكان أميركا الأصليين.. ينهار عالم ويقوم على أنقاضه عالم آخر وتتبدل القيم والأفكار والاهتمامات والثقافة وأنماط السلوك، فالمؤلفة تبصر التناقضات الظاهرة والخفية التي تحرك الواقع وتحدد المسارات وتصنع المصائر. حتى لتبدو الرواية عملاً بانورامياً كوزموبوليتياً ذا نَفَس ملحمي.

تثبت إيزابيل الليندي في هذا العمل أن الرواية ليست سرداً تخييلياً محضاً، بل منجز من منجزات الثقافة، بحاجة إلى فرشة واسعة من المعلومات العلمية والتاريخية، ورؤية ناضجة عميقة إلى خبايا النفس البشرية وتضاريس العلاقات الاجتماعية، حيث من الضروري، أيضاً، أن يستند العمل الإبداعي إلى فلسفة خفية توجّه المبدع في الطرقات الساحرة المخاتلة والغامضة للإبداع.

❖ *(ابنة الحظ) إيزابيل الليندي.. ترجمة: صالح علماني.. دار المدى/ دمشق.. ط١/ ٢٠٠٠,*

ايـــزابيـل الـيـنـــدي

وراء الســـتـــارة

ميلان كونديرا

ترجمة: نجام الجبيلي

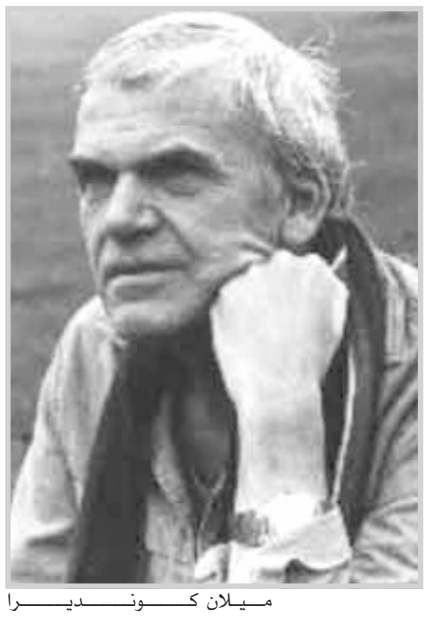

ميلان كـــونـــديـــرا

بعد من الكتاب الذي يخوضان في دهاليزه. يقول مونترلان " لا ظرف.. ولا طراوة فكرة ..لا خفة في الكتابة .. ولا سبر مفاجئ لأعماق القلب الإنساني، لا اكتشافات معبرة، لا فخامة ولا فكاهة: يفتقد فلوبير الموهبة إلى درجة مذهلة".

ويضيف: لا شك أن المرء يتعلم شيئاً من فلوبير، لكن بشرط أن لا يمنحه قيمة أكبر مما يستحقها، ويعلم أنه "ليس مصنوعاً من الطينة نفسها لراسين وسان سيمون وشاتوبريان وميشيليه".

الومضة الخفيفة للهزلي

بعد رفقة مسائية قضاها بوجود عشيقته "مدام آرنو" يرجع فريدريك في رواية فلوبير" التربية العاطفية" إلى وطنه، ثملاً بمستقبله، ويقف أمام مرآته. اقتبس:" فكّر أنه وسيم وتريث دقيقة ليحدق في صورته".

"دقيقة". في هذه الوحدة الزمنية المضبوطة هناك ضخامة كاملة للمشهد. يتريث، يحدّق، يجد نفسه وسيماً. لدقيقة كاملة. دون أن يتزحزح. إنه عاشق، لكنه لا يفكر في المرأة التي يحبها. إنه مصعوق من ذاته. يحدق في المرآة. لكنه لا يرى نفسه تبدو في المرآة (كما يراها فلوبير). إنه محبوس داخل ذاته الغنائية وغير واعٍ للومضة الخفيفة للهزلي التي ثبتت فوقه وفوق حبه. إن التحول عن الغنائي هو تجربة أساسية في بيان سيرة الروائي: لأنه مفصول عن ذاته، فإنه يرى فجأة تلك الذات عن بعد، مندهشاً أن يجد أنه غير الشخص الذي اعتقد أنه هو. وبعد هذه التجربة، سيعلم أن لا أحد هو الشخص الذي اعتقد أنه هو، وإن سوء الفهم هذا هو كوني.أولي ويسلط على الناس الومضة الخفيفة من الهزلي (مثلاً، على فريدريك وهو يقف هناك أمام المرآة)، هذه الومضة من الهزلي، المكتشفة فجأة، هي الجزاء الصامت الثمين لتحول الروائي.

عند نهاية قصتها، وبعد أن يطردها صاحب البنك ويهجرها "ليون" تتسلق إيما بوفاري عربة القطار. وعند بابها المفتوح هناك شحاذ "يصدر عنه نباح مكتوم". لحظتها "تدفع له قطعة نقود من فئة خمسة فرنكات من فوق منكبها، كانت ثروتها بأكملها. فكرت أن الأمر رائع تماماً. قذف قطعة النقود هكذا". حقاً كانت هي ثروتها بأكملها. كانت على وشك أن تبلغ نهايتها. لكن الجملة الأخيرة، التي أضعها بحروف مائلة، تكشف أن فلوبير كان يرى بصورة أفضل تماماً لكن إيما كانت غير مدركة: أنها لم تكن فحسب تصنع علامة على الكرم، كانت مسرورة مع نفسها كونها فعلت ذلك –حتى أثناء تلك اللحظة من اليأس الحقيقي. إنها لم تفوت الفرصة في عرض إيماءتها، بشكل بريء، وهي ترغب في أن تبدو رائعة إكراماً لذاتها. إن ومضة من السخرية الخفيفة لن تغادرها أبداً. حتى لو تقدمت نحو الموت الذي كان من قبل قريباً جداً.

الستارة الممزقة

إن ستارة سحرية، منسوجة من الأساطير، علقت أمام العالم. أرسل ثيربانتس "دون كيخوته" ليقوم برحلة ويمزق الستارة. والعالم مفتوح أمام الرحالة الفارس بكل العري الهزلي لنثره. ومثل امرأة وضعت مكياجها قبل أن تسرع لموعدها الأول فإن العالم، باندفاعه نحونا في لحظة الولادة هو مسبقاً ملفق، مقنّع، ومعاد تأويله. الملتزمون بالأعراف ليسوا هم الحمقى الوحيدين، الأنواع الثورية المتشوقة لمواجهة أي شيء وأي شخص، لن يدركوا أنهم هم أنفسهم مطيعين، سيثورون ضد ما جرى تأويله (أو إعادة تأويله) كونه يستحق الثورة عليه.

نسخ ديلاكروا في لوحته المعروفة " الحرية تقود الشعب"، إطار الحدث من ستارة ما قبل التأويل. فتاة شابة عند متراس، وجهها الصارم، وثديها يبعثان على الخوف. بجانبها طفل مشوه ومسدس. لم أهتم إلا قليلاً بهذه اللوحة، وسيكون من اللامعقول استثنائها مما يسمى الرسم العظيم.

لكن الرواية التي تمجد مثل هذه الوضعات التقليدية والرموز المبتذلة، تستثني نفسها من تاريخ الرواية. لأنه عن طريق تمزيق ستارة ما قبل التأويل جعل ثربانتس الفن الجديد قائماً؛ فعله المدمّر يتردد صداه ويمتد إلى كل رواية تستحق التسمية.

لقد قتلوا البرتيني

كان إيفان بلاتن الذي يكبرني بعشر سنوات (مات قبل سنوات) هو الشاعر الذي أكن له إعجاباً شديداً حين كنت في الرابعة عشرة من عمري في إحدى مجموعاته، ظل بيت شعر يطرق ذهني، وفيه اسم امرأة، "البرتين، أنت" وكان تلميحاً إلى ألبرتين بطلة بروست بالطبع. أصبح الإسم بالنسبة لي، أنا المراهق، من الأسماء الآسرة من بين جميع أسماء النساء. كل ما عرفته عن بروست كان ظهور الأجزاء العشرين أو ما يقاربها من رواية "البحث عن الزمن المفقود" في الترجمة الجيكية، مصفوفة في مكتبة أحد الأصدقاء. بسبب "بلاتن"، وبسبب بيته الشعري " البرتين، أنت" انغمرت في قراءاتها. وحين وصلت المجلد الثاني، أصبحت البرتين بطلة بروست بشكل تلقائي واقعة في شرك البرتين بطلة الشاعر. إن الشعراء الجيك مشغوفون جداً بمؤلفات "بروست" لكنهم لا يعرفون سيرته. ولم يكن "إيفان بلاتن" يعرفها. وكان الوقت في الواقع متأخراً حين خسرت بنفسي امتياز هذا الجهل المحبب، حين سمعت ما يقال أن البرتين قد أوحى بها رجل كان بروست يحبه.

لكن عم يتكلمون! لا يهم من أوحى بها سواء أكان رجلاً أم امرأة، فألبرتين هي ألبرتين ...!! فالرواية مصنوعة من الخيمياء التي تحول المرأة إلى رجل والرجل إلى امرأة، المعدن الخسيس إلى ذهب، والحكاية إلى دراما! تلك الخيمياء الإلهية هي التي أوجدت قوة كل روائي، سر فنه وروعته !

لكن لا فائدة؛ بذلت جهدي لأصدق أن البرتين كانت امرأة لا يمكن نسيانها تماماً، لكن ما إن جرى إخباري أن نموذجها كان رجلاً، فإن تلك المعلومات العقيمة بقيت في رأسي مثل فايروس ضرب برامج الكومبيوتر. انسل رجل بيني وبين ألبرتين كان يمتزج بصورتها وتضعف أنوثتها. وفي غضون دقيقة سأراها بثدييها الجميلين، وبعد ذلك بصدرها المستوي، وبين فترة وأخرى بشارب سيظهر على الجلد الرقيق لوجهها. لقد قتلوا البرتين الخاصة بي. واستذكرت كلمات "فلوبير" :" يجب على الفنان أن يخلف ذرية وهو مؤمن أنه لن يعيش أبداً". افهم معنى هذا السطر:" إن ما يبحث عنه الروائي هو أن لا يحمي نفسه قبل كل شيء بل البرتين ومدام آرنو".

❖ هذه الفصول من أحدث كتاب لكونديرا صدر عام ٢٠٠٧ بعنوان "الستارة"